

لماذا لا يمكن احتواء إيران

دانييل بليتك

مركز اميريكان انتربرايز

15 ديسمبر 2009

Why Iran Can't Be Contained

By Danielle Pletka

American Enterprise Institute (AEI)

ترجمة: علي الحارس

باحثة في مركز اميريكان انتربرايز (نائبة رئيس قسم السياسات الخارجية والدفاعية).
تشرف على مؤتمر دوري يناقش قضايا العراق الجديد. والديمقراطية في العالم العربي. والاستثمارات العالمية في إيران.
عضو في لجنة العلاقات الخارجية مع دول الشرق الأدنى وجنوب آسيا التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكي (1992-2002).
ماجستير من كلية الدراسات العالمية العليا. جامعة جون هوبكنز.



دانييل بليتك

تواصل إيران برنامجا عدوانيا لامتلاك الأسلحة النووية. وعلى الرغم من بعض المواقف الصارمة. فإن معظم أركان إدارة اوباما قررت أن تتكيف مع الواقع. لقد استسلم أصحاب القرار في واشنطن إلى سياسة احتواء يدعي البعض أنها ستحد من قدرة إيران على التخصيب والترهيب واستغلال موقعها كقوة نووية. ولكن من الخطأ أن يفكر أحد بإمكانية احتواء إيران نووية.

إن فرضية الاحتواء تحذو حذو سياسات الحرب الباردة: ثمن المواجهة العسكرية مرتفع جدا: النظام الإيراني يهتم بالسلطة فقط. وليس باستخدام الأسلحة: الاحتواء بسيط لأن العرب خائفون جدا من إيران إلى حد يجعلهم يفعلون أي شيء لمساعدتنا: الرئيس الإيراني محمود أحمددي نجاد لا يمتلك سلطة اتخاذ القرار. لكن الواقع يقول أن هذه الحجج إما باطلة أو مضللة.

لماذا لا يمكن احتواء إيران

يتمتع النظام الشيعي في طهران بمهارة لا تقارن بها مهارة أُنذاده السنة في عالم الطموحات النووية ودعم الإرهاب. فمن يقرأ التاريخ جيدا لا بد أن يلاحظ أن المجتمع الدولي قد فرض القليل من العقوبات على منتهكي المعاهدات المتعلقة بالأسلحة النووية. أما طهران فتحتدو حذو نموذج الهند التي أصبحت قوة عظيمة نالت الاعتراف والقبول بما لديها من أسلحة نووية. وليس نموذج كوريا الشمالية الدولة المجنونة التي لا تمتلك أية طموحات أو تأثيرات عالمية خطيرة. إن هؤلاء المسؤولين الإيرانيين الذين أيدوا الانسحاب من معاهدة حظر التخصيب النووي لم يكن دافعهم إلى ذلك أن يروا إيران وقد أصبحت الدولة الراعية لشيعية العالم. وإنما اعتقادهم بأن بلاد فارس أخذت تضيق بقوى ومعاهدات (الوضع الراهن).

يقترح أنصار سياسة الاحتواء والردع بأن تحاط إيران بمجموعة من الدول «تماثلها في التفكير» ومصممة على رفع تكلفة أية مغامرة. لكن هذه الفكرة المضحكة تقوم على أساس واه من الافتراضات المتعلقة بأوروبا والعرب المترددين في القيام بأي رد فعل؛ ومن له أن يلوم العرب المجاورين لإيران؟ فمن خلال حث الدول البعيدة لهم على حظر استخدام إيران لمصارفها وموانئها. يتوقع هؤلاء أن يتم استنزافهم كلية بوصول رئيس أمريكي آخر يحلم بجائزة نوبل للسلام.

وأسوأ من ذلك أن فكرة الردع الحالية ليست مناسبة للنظام الإيراني. ربما يكون من غير العدل القول بأن القيادة الإيرانية الحالية لم تأت من الطينة ذاتها التي جبل منها الاتحاد السوفييتي. ففي النهاية لا نزال يتم تذكيرنا أن سياسة (حتمية التدمير المتبادل) قد استفاد منها الاتحاد السوفيتي طيلة نصف قرن؛ ولكن حتى أكثر صقور السياسة تحمسا لديهم شكوك جادة حول لجوء أمريكا إلى «محو إيران تماما» في حالة أي هجوم نووي على إسرائيل مثلا. وإن كان ذلك ما هددت به وزيرة الخارجية هيلاري كلينتون خلال حملتها للترشيح إلى منصب الرئاسة؛ بل إن الكثيرين يرون في المهمة حول «التأكيد»

لماذا لا يمكن احتواء إيران

و«المحرضات» و«التصعيد» ما هي إلا ألفاظ خطابية تقتضيها المناسبة. إذن؛ إذا كنا في واشنطن نرى الأمر كذلك، فلماذا نفترض بأن الإيرانيين لديهم منظور مختلف؟

بالإضافة إلى ما سبق، يتندر الكثير على فكرة إمكانية مخاطرة أي قيادي إيراني مسؤول باستخدام أو نقل الأسلحة أو التكنولوجيا النووية، كما تم إخبارنا بأن أحمددي نجاد لا يملك سلطة اتخاذ القرار الأخير (المجنون بما يكفي لاستخدام مثل تلك الأسلحة). لكن النظام الإيراني يتصف بالغموض، ونقل مراكز القوة يؤكد بأن حتى وكالات المخابرات القديرة لا يمكنها أن تكون أكيدة حول عملية اتخاذ القرار في ما يخص البرنامج النووي الإيراني. ومهما كانت تكهنات أجهزة المخابرات الأمريكية حول رد فعل إيران على سياسة اوباما إزاءها (والظاهر أنهم تنبؤوا بأن إيران كانت متلهفة للحوار)، فمن المعقول الاستنتاج بأن لا أحد يعرف من يضع إصبعه على زر إطلاق الأسلحة النووية الإيرانية.

من الممكن أن تجمع إيران ما يكفي من المواد النووية لإنتاج القنبلة وتقرر حينها أن لا تصنع منها سلاحاً أو تجربها؛ ولكن ذلك ليس من شيممة الدول التي أخفت برامجها النووية، وبالأخص منها التي تمتلك أنظمة إيصال متطورة ورؤوس حربية للصواريخ. ومن الممكن كذلك أن إيران حينما تمتلك مثل هذا الصاروخ فإنها لن تقوم باستخدامه ولن تشارك أحداً في تكنولوجيا صنعه؛ ولكن إيران كانت دائماً عازمة على مشاركة الآخرين، ومن المؤكد أنها قد تنجذب إلى استخدام أسلحتها النووية كدرع خلفي إذا ما خاضت مغامرة في لبنان أو العراق أو إسرائيل.

يقترح مؤيدو سياسة الاحتواء أنه في ظل غياب جهد دبلوماسي مؤثر أو عقوبات مجدية لا يبقى أمام الولايات المتحدة الأمريكية إلا خياران قاسيان: الإذعان أو العمل العسكري. ويعترف المسؤولون في إدارة اوباما في أحاديثهم الخاصة بأنهم يعتقدون أن أي ضربة إسرائيلية سوف تقضي على الجدل السياسي الأمريكي، وذلك بالنظر إلى أن صبر إسرائيل على المشروع النووي الإيراني أقل من صبرنا. ولكن إيكال الأمن القومي الأمريكي إلى إسرائيل

لماذا لا يمكن احتواء إيران

فكرة مروعة، كما لا يمكننا أن نفترض بأن الضربة الإسرائيلية لن تقدح شرارة صراع إقليمي أوسع قد يستتبع تورطاً أمريكياً.

لا تزال هنالك قلة من الخيارات التي بإمكانها أن تجبر مشروع التسليح النووي الإيراني على التراجع. ومع ذلك، ينبغي أن تتم ممارسة الضغوط على إدارة أوباما من أجل إيجاد طريق جديد إلى الأمام بعد عام من البدايات الزائفة والمبادرات الفاشلة. وعلينا أن نأمل على الأقل بأن السياسة الجديدة للرئيس لن تستند على الاعتقاد الزائف بإمكانية احتواء إيران.